***حوليات جامعة بشار***
***Annales de l'Université de Bechar***
العدد ***N° 12, 2011, 12***
ISSN : 1112-6604

# التـــداوليـة

عبد الحفيظ تحريشي

جامعة بشار

hafidtehirichi@yahoo.fr

الملخص:

شهد القرن 20 تطورا كبيرا للسانيات البنوية خاصة بعد نشر محاضرات دي سوسير De Saussure (1857–1913) وترجمة كتابه إلى معظم لغات العالم، فظهرت مدارس بنوية عديدة نتجت عنها تيارات ومناهج قامت بتحليل اللغة والبحث في أسرارها والكشف عن مكوناتها. وقد أهملت هذه الدراسات في تحليلها المرجع والسياق والعوامل الخارجية المؤثرة في العملية التواصلية القائمة بين الموصل والمتلقي، مما أدى إلى نشوء تيار جديد من الدراسات والنظريات أطلق عليه الدارسون مصطلح التداولية " La pragmatique" الذي ينطلق من وظيفة اللغة ويهتم باللغة اليومية باختلاف مستوياتها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات البنوية– التداولية– السيميائية - السلوك والفعل- الكفاءة التواصلية- الأفعال الكلامية- الأفعال اللغوية- الأفعال الأدائية- الملفوظية- الحِجاج- الوظائف التداولية- التفاعل والسياق .

Résumé:

LE XXème siècle a vu un grand développement, en particulier après la publication des cours De Saussure (1857-1913) et la traduction des ses écrits dans la plupart des langues de monde entier, l'apparition de plusieurs écoles constitutionnelles ont mis en évidence différents courants et disciplines qui ont analysé la langue et ses la et ses composantes.

Ces études ont négligés dans l'analyse de la langue les références, les contextes les facteurs extrêmes qui influent sur la communication du processus entre l'émetteur et le récepteur, ce qui entraîne la naissance d'un nouveau courant issue des études et des théories appelé « La pragmatique», qui repose sur la fonction de la langue courante à travers ses différents niveaux.

شهد القرن 20 تطورا كبيرا للسانيات البنوية خاصة بعد نشر محاضرات دي سوسير De Saussure (1857–1913) وترجمة كتابه إلى معظم لغات العالم. فظهرت مدارس بنوية عديدة نتجت عنها تيارات ومناهج قامت بتحليل اللغة والبحث في أسرارها والكشف عن مكوناتها.

وقد أهملت هذه الدراسات في تحليلها المرجع والسياق والعوامل الخارجية المؤثرة في العملية التواصلية القائمة بين الموصل والمتلقي، مما أدى إلى نشوء تيار جديد من الدراسات والنظريات أطلق عليه الدارسون مصطلح التداولية " La pragmatique" الذي ينطلق من وظيفة اللغة ويهتم باللغة اليومية باختلاف مستوياتها.(1)

1– مفهوم التداولية:

يكتنف مفهوم التداولية كثيرا من الغموض، فهي محط اهتمام المناطقة والسيميائيين والفلاسفة والسوسيولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل واللسانيين... وبذلك فهي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنفها في أي من المستويات ولا تدرس جانبا محددا في اللغة بل تستوعبها جميعا.(2)

يعود الفضل إلى إدخال مصطلح Pragmatique في معجم اللسانيات الحديثة إلى شارل موريس Charles Morris في سنة 1938 في كتابه أسس نظرية العلامات، حيث حدد ماهيتها كجزء من السيميائية وأحد مكوناتها، تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات وبين مستعمليها أي مفسريها وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات. ويعرفها فرانسواز ريكاناتي François Recanati بأنها بحث يهتم بدراسة استعمال اللغة داخل الخطاب وإبراز السمات التي تميزه، وتهتم ببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استخدامها.( 3) و يمكن تصنيف مدونة تعريفاتها إلى حقول هي(4):

تعريفات ترتبط بحقل نشأة التفكير التداولي.

تعريفات ترتبط بحقل موضوع التداولية ووظيفتها.

تعريفات ترتبط بحقل التواصل والأداء.

تعريفات ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى.

تعددت المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي Pragmatique،(5) فقيل براجماتيكا أو البراغماتية والبراغماتيك، البرجماتية والبراجماتيك كمصطلحات معربة له. كما نجد مقابلات عربية مترجمة للمصطلح مثل: التداوليات، التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية. غير أن المصطلح "التداولية" الذي وضعه أحمد المتوكل خلال 1985 في موضوع خاص حول الوظائف التداولية في اللغة العربية هو الذي صار شائعا بين المختصين ومستعملا بينهم،(6)

لا توجد تداولية واحدة بل تداوليات متعددة يوحدها العنصر الشكلي لممارسة سلطة المعرفة في إطار استراتيجيات توجه النقاش والحوار،(7) هده التداوليات هي(8):

تداولية البلاغيين الجدد.

تداولية السيكولوجيين.

تداولية اللسانيين.

تداولية المناطقة والفلاسفة.

بدأت التداولية بالظهور في فرنسا سنة 1980 بعدما تأسست على معرفة متشعبة ومسهبة آثرت الدراسات اللسانية، فأدخلت في حقل الدراسات الأدبية والعلوم الاجتماعية.(9)

**2- أشكال تطور التداولية:**

توجد تصورات كثيرة لأشكال تطورها، ولعل من أبرزها ما وضعه كل من فرانسواز أرمينكو وهانسون وجان سرفوني وتتلخص هذه التصورات فيما يأتي:

أ – تصور فرانسواز أرمينكو: صنفها في اتجاهين في كتابه "المقاربة التداولية" هما(10):

تداولية اللغات الشكلية وتداولية اللغات الطبيعية:

قامت التداولية الشكلية بمعالجة العلاقة بين التلفظ وملفوظه وبين الجمل وسياقاتها واهتمت أيضا بدراسة شروط الحقيقة وقضايا الجمل والحدس بين المتخاطبين والاعتقادات المتقاسمة، في حين اهتمت تداولية اللغات الطبيعية بدراسة اللغة بوصفها وسيلة فريدة للتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع.

تداولية التلفظ، وتشمل:

تداولية صنيعة التلفظ: تدرسه من حيث هوصناعة أي كيفية صياغته وتشكيله.

تداولية صيغ الملفوظ: التي تهتم بشكل الملفوظ وعباراته: تعالج العلاقة بينه وبين الدلالة، وتحدد السياق المناسب له.

ب- تصور هانسون:

وضع هانسون تصورا جديدا لأقسام التداولية في سنة 1974، قصد من خلاله توحيد أجزائها على أساس درجة تعقد السياق من جزء إلى آخر، ففرق بين(11):

تداولية الدرجة الأولى:

تدرس رموز التعبيرات المبهمة خلال ظروف استعمالها، وتقوم بتناول السياق ومعطيات الزمان والمكان والرمز والإشارة.

تداولية الدرجة الثانية:

ترتكز على دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبّر عنه بملفوظه؛ فتهتم بشروط التواصل والتمييز بين المعاني(الحرفي-السياقي)، (الحرفي-الموضوعي).

تداولية الدرجة الثالثة:

وتخص نظرية أفعال االكلام، مما قدمه أوستين وطوّره سورل.

جـ-تصور جان سرفوني: ميز بين ثلاث وجهات نظر تتعلق بالتداولية بعد أوستين هي(12):

وجهة نظر اوزوالد ديكرو:

تدرس اللسان و العلاقات المتبادلة بين القول و اللاقول، و تتعرض أيضا إلي دراسة المضمون و الحجاج.

وجهة نظر آلان بيريندونيه:

إن أطروحته تناقض فكرة أوستين (القول هو الفعل)، فمفهومه للقول الفاعل هو مفهوم عالي الكلفة، والأفعال الإنجازية في نظره ليست مهمتها الإنجاز، بل عدم إنجاز فعل. فهي تستعمل لإحلال الكلام محل الفعل المادي.

وجهة نظر رمارتان:

يذهب إلي أن مجال البراغماتية ليس الجملة ، ولكنها تتداخل على مستوى الملفو ظ ، وهي نتيجة للآلية الدلالية التي تشكل هذه الكلمة علامة لها.

3- شروط استعمال التداولية:

حاول ماس/ فوندرليش ( 1972) .Maas.U/ Wunderlich.D وصفشروط استعمال التداولية، حيث اشترط أن يكون لدى كل متواصل قدرات من النوع الأتي:

أن يكون لديه مفهوم عن الواقع وعن العوالم الممكنة التي يمكنها استباطها منه، حتى يحصر ما يريد أن يتواصل حوله.

أن ينشئ اتصالا وأن يستطيع حصره.

أن يستطيع الإدراك، وأن يمتلك ذاكرة/ وقدرة على التوقع أيضا بالنسبة لسياق الكلام، وسياق الموقف المستمرين.

أن يستطيع الخوض في أدوار اجتماعية تجاه الآخرين.

أن يستطيع إعادة إنشاء شروط اجتماعية.

أن ينطق أبنية صوتية مناسبة، وأن يكوّن من خلال ذلك صيغا لغوية جديدة للبناء.

أن يدرك أبنية صوتية وأن يستطيع فهمها باعتبارها صيغا لغوية وتعبيرا عن مركب لفعل كلامي.

أن يستطيع استخدام وسائل لغوية مصاحبة ووسائل غير لغوية استخداما مناسبا وفهمها فهما ملائما

يعد كل منطوق لغوي من وجهة نظر التداولية ليس منطوقا من مضامين فحسب، بل هو منطوق من المقاصد أيضا( 13)، فالمنطوق اللغوي هو إذن فعل داخل مجريات فعلية، ويغير كل فعل العلاقات القائمة بين شركاء التواصل ويوجد الشروط للأفعال التالية ذات الطبيعة اللغوية وغير اللغوية.(14)

4 - المفاهيم الأساسية والتصورات اللغوية التداولية المحورية:

أ المسلوك والفعل:

توظف في التداولية مصطلحات مثل: السلوك التواصلي والفعل (الحدث) التواصلي، والسلوك اللغوي والحدث(الفعل) اللغوي والكلامي والأفعال الكلامية أحيانا متجاورة بلا اختلاف، وأحيانا بوصفها مفاهيم متعددة؛ فيستخدم الفعل والسلوك بشكل لغوي مشترك، مترادفة أحيانا عندما تشير إلى عمل إنساني ويمكن أن يستعمل(الفعل) بشكل إجمالي حين ترى المبادرة مع الذي يفعل شيئا، بينما يفضل استعمال (السلوك) حين يطلب من آخرين أن يفعلوا شيئا. ولا يمكن أن تستخدم هذه المصطلحات استخداما ترادفيا في الخطاب العلمي، فللمفاهيم العملية مضامين مفهومية محددة،( 15) يرتبط بهذه المصطلحات مفاهيم جوهرية مثل: الحدث، القصد، المغزى، السلوك الإثاري والفعل القصدي.

ب - الكفاءة التواصلية:

توجد تحديدات مفهومية متباينة للكفاءة التواصلية خاصة بين المجالين التربوي والتداولي، ولكنها تشترك جميعها في المقصود انطلاقا من مفهوم تشومسكي للكفاءة(اللغوية)، وهو «قدرة إنسانية بالغة الشمول، تهدف إلى إدراك شركاء اتصال الموقف التواصلي بعوامل مثل المكان والزمان والعلاقات الاجتماعية إلى استخدام وسائل التواصل لتحقيق الأهداف».(16)

جـ- الأفعال الكلامية:

يستخدم الفعل الكلامي غالبا لوصف التواصل بين الناس، وتستعمل في الأفعال المفردة والتواصلية الخاصة والممكنة بين اللغة مثل السؤال والطلب في الغالب مصطلح الأحداث اللغوية أو الأحداث الكلامية وتنطلق تحليلات الفعل الكلامي من فكرة أن شخصا ما عند الكلام(17):

يعبر لغويا.

أنه يقول شيئا.

أنه موجود في موقف كلام .

أنه –عادة- يتحدث إلى شخص ما.

أنه من خلال هذا الكلام –فعل الكلام- الفعل الكلامي- يتأثر بالموقف التواصلي ويؤثر في شريك الاتصال.

د- الأفعال اللغوية:

توجد مجموعة من الأفعال التي تنجز لغويا أو غير لغوي من خلال الحركات أو النشاطات الجسدية ،وقد قام اوستين بتجميع كل الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى هي(18):

الأفعال اللغوية الدالة على الحكم (verdictifs)مثل: قدر-حكم على...

الأفعال اللغوية الدالة على الممارسة و التطبيق (exercitifs) مثل: عين-نضج- حذر

الأفعال اللغوية الدالة على الوعد (compartatifs) مثل: وعد-كفل-التزم

الأفعال اللغوية الدالة على السيرة (condutifs) مثل: شكر-هنأ

الأفعال اللغوية الدالة على العرض(expositifs) مثل: افترض-اعترف-رد

ه- الأفعال الأدائية:

هي أفعال لغوية تعرض وتعين في الوقت ذاته، وبعض هذه الأفعال الإجرائية ترمز إلى أفعال لا يمكن أن تنجز إلا من خلال نطق تواصلي للكلمات، وقد تصحب حركات معينة هذه الأفعال، وهي تختلف باختلاف الوسط الثقافي.(19)

ويرتبط بمدونة اللسانيات التداولية أيضا موضوعات لا تقل أهمية عما ذكر، ويتعلق الأمر بما يأتي:

و- الملفوظية:

إن الملفوظية L'énonciation هي عملية إنتاج الملفوظ L'énoncé ويكتسي تعريفها الطابع العملي، حيث تقابل التوظيف الفعلي للغة، و بشكلها مجموعة العوامل والأفعال التي تسهل إنتاج الملفوظ –بما في ذلك التواصل ذاته- وهو حالة خاصة من حالاتها.(20)

ي- الحِجاج:

يرتبط مفهوم الحجاج Argumentation بالفعل، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من خيارات قائمة ممكنة، بهدف وضع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما.(21)

ن- التفاعل والسياق:

يميز التفاعل سلوك الإنسان عن غيره فهو « سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين»،(22) ويشمل السياق المحيط اللساني (مستخدم اللغة، الحدث، النظام اللغوي، مواقع مستخدمي اللغة، أنظمة المعايير الاجتماعية والعادات والتقاليد). فقد عرف السياق بأنه «علامات شكلية في المحيط اللساني الفعلي».(23)

ل- الوظائف التداولية:

تجاوز الدرس التداولي فكرة الوظيفة الوحيدة للغة وهي التواصل، ألي تعدد الوظائف، ولعل أهمها أن اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني، وتبنى عليها تغيرات في المواقف والآراء،( 24) وتحدد الوظائف التداولية وضعية مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية، بعلاقة الجملة بالطبقات المقامية المحتمل أن تنجز فيها.(25)

لقد أصبحت التداولية مشروعا هاما واسع الأفق في اللسانيات النصية يولي أهمية خاصة للأقطاب ومناحي النصية فيه، حيث أمكن من خلاله الإجابة عن كثير من الأسئلة التي تتعلق بالتواصل والتفاعل وشروط الأداء.

---

الإحالات:

1. ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية: أعلامها-مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار آل الرضوان، وهران، ط:2، 2008، ص: 224
2. ينظر: محمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص: 10.
3. -ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علواش، مركز الانتماء العربي، ص: 4.
4. ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر ،ط: 1، 2009، ص: 67-75.
5. -Pragmatique: يرجع تأصيله إلى اللفظ اليوناني pragma التي تعني العقل أو الحدث action.

6. -ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، 2000، ص: 176.
7. ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية، ص: 228.
8. -ينظر: المرجع نفسه، ص: 229.
9. -ينظر: المرجع نفسه ، المدارس اللسانية، ص: 231.
10. ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 11-40.
11. ينظر: أحمد عزوز، المرجع السابق، ص: 41-73.
12. ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 79 و ما بعدها
13. ينظر: Maas.U/ Wunderlich.D. Pragmatik and apruchliches, 1972. P:90 نقلا عن: زنسيسلاف وأورزيناك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة : سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط: 1، 2003، ص: 87.
14. -ينظر: المرجع نفسه،، ص: 87.
15. ينظر: كارل. ديتربونتنج، المدخل إلى علم اللغة. ترجمة: سعيد حسن بحري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط: 2، 2006، ص: 287- 290.
16. -المرجع نفسه ، ص: 292-293.
17. -ينظر: زنسيسلاف وأورزيناك، المرجع السابق، ص: 235
18. -ينظر: احمد عزوز المدارس اللسانية ص:239-240
19. -ينظر: كارل –ديتربونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ص: 300.
20. -جان سرفوني، الملفوظية، ترجمة : قاسم المقداد: منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1998، ص: 7.
21. -ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند (بيركمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 28، يناير- مارس 2000، ص: 98.
22. فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة وتعليق: محمد سعيد البحري، مصر، ط: 1، 2001، ص: 128.
23. G. Mounin, Dictionnaire de la Linguistique, P83 نقلا عن: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 114.
24. -ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 117.
25. -ينظر: أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، المغرب، 1988، ص: 25.